الاستاد مسيلي ياسين
مقياس مدارس ومناهج
السنة الأولى جذع مشترك اعلام واتصال
محاضرة رقم: 01 للسداسي الثاني

نقصد بالمدرسة في العلوم الاجتماعية مذهبا فلسفيا أو اجتماعيا ينتمي اليه أنصار ومعارضون، حيث يتقيدون بتعاليمه ويسعون الى تحقيق الغاية منه، ومن أهم هذه المدارس:

أولا: المدرسة الإسلامية:

يقصد بالنظرية الإسلامية في السيسيولوجيا أسلمة علم الاجتماع موضوعا ومنهجا وتصورا ورؤية، فهي تمثل العقيدة الربانية في التعامل مع المواضيع الاجتماعية والاحتكام الى المعيار الأخلاقي والقيمي أثناء التعامل مع الظواهر والوقائع المجتمعية، وتقديم الحلول ضمن رؤية إسلامية بعيدة عن الطائفية والمذهبية والعرقية، واستحضار العقل الإسلامي في التحليل والتشخيص والتركيب وتوجيه المجتمع وتعديله وتغييره

اذا انطلقنا من مفهوم الانسان في ظل التراث الإسلامي وتعاليمه، فهو الحيوان المتميز بالعقل والروح والقادر على التفكير المجرد واستخدام الرموز المختلفة، ذو النزعة الطبيعية نحو الاجتماع، والقادر على صنع الثقافة وبناء الحضارة، المتميز بطموحه ومغامراته واهتمامه بالمستقبل وحب التملك والنزعة الطبيعية نحو التدين والتفكير الميتافيزيقي ومن اهم خصائص الانسان حسب التيار الفكري الإسلامي انه خلق من طين بشكل متميز يدل على عظمة الخالق وكما قدرته، ويذكر الانسان منذ بداية تكوينه بنعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى والعلاقة الوثيقة التي تربطه بالطبيعة المحيطة به ولكن مهما كانت دقة خلق الانسان فهي ليست بشيء أمام قدرة وعظمة الخالق وارادته

ان النظرة الكلية الشاملة التي يؤديها الإسلام بما فيه من آيات قرآنية كريمة واحاديث نبوية شريفة وأحاديث معتبرة لعلمائه، هي ما يقبله العقل والفطرة السليمة ومكا يتماشى مع النظريات الحديثة في الطبيعة الإنسانية، فهذه النظريات ترى أن الطبيعة الإنسانية لا تنقسم الى جزئيات صغيرة أو كبيرة باختلاف الأسماء التي تعطى لها ولكنها كل متكامل بجميع اجزائه، متفاعل، يؤثر و يتأثر كل جزء فيه بالأجزاء الأخرى، وهذا التفاعل أساسي في اكتساب الطبيعة الإنسانية النمط الذي تستهدفه لها، فالتفاعل يكون بين طبيعة إنسانية متغيرة وبين بيئة اجتماعية متغيرة ومتطورة أيضا

وتقابل هذه النظرة الكلية الشاملة للإنسان على جانب أو شطر معين من شخصيته، فتركز على الجانب الجسمي أو المادي كما هو الحال عند الماديين والحسيين، أو تركز على الجانب العقلي فيه كما هو الحال عند العقليين أو الجانب الروحي كما هو الحال عند الوحيين والمتصوفين، فالماديون ينظرون للإنسان على انه جزء لا يتجزأ من الكون يضخ لنفس القوانين التي يخضع لها سائر أجزاء الكون الذي يتناوله العلم بالدراسة والتحليل، وعلى أنه يخضع للدراسة العلمية والوصف العلمي كأنه عينة معملية.

ومن النماذج المتطرقة لهذه الدراسة المعملية للإنسان تلك الدراسة التي أشار اليها هوارد في كتابه" المدرسة الصحيحة للجنس البشري" والتي أرجع فيها الانسان الى كميات من الدهن والكربون والفوسفور والجير وغيرها من المواد، الا ان هذا التحليل المادي المتطرف لطبيعة الانسان لا يتماشى مع روح الإسلام وتعاليمه التي تؤكد بوضوح أن الانسان هو جسم وعقل وروح، وأن هذه العناصر المترابطة المتشابكة تشكل كلا متكاملا يصعب اخضاعه الى هذا التحليل المعملي البسيط

يؤكد أندرو كونواي ايفي في كتاب " الله يتجلى في عصر العلم" أن النواحي الروحانية والأخلاقية في حياة الانسان وما ينبغي أن تفعله لها أهمية بالغة بالنسبة لسلامة الانسان رفاهيته وهي أهمية تفوق أهمية معرفته وسيطرته على الطبيعة غير الإنسانية

فعلاء الإسلام عندما يعترفون بوجود هده الابعاد الرئيسية للشخصية الإنسانية وهي الجسم والعقل والروح. يؤكدون على ضرورة اتساقها وتعاونها وانسجامها وإرضاء مطالبها جميعا بدون افراط فهم يدركون الاهمية البالغة لكل منها بالنسبة للحياة الإنسانية.

لقد ادرك فلاسفة و علماء الإسلام أهمية العقل ،حتى اعتبره بعضهم اهم ما في الانسان و اهم ما يميزه عن الكائنات الحية الأخرى، كما اعتبروا ان مزاولة التأمل هي اكمل حالات الوجود الإنساني يوضح الدكتور زكريا إبراهيم خصائص الانسان في انه ذلك الوجود البشري او المخلوق المتسائل الدي لا يكاد يكف عن اثارة المشاكل و التساؤلات ، فالإنسان دائما يتساءل لأنه لا يري في ما حوله حلولا جاهزة ، لذلك فهو مضطر الى ان يبحث عن التفسير الذي يزيح النقاب عن السر .فالإنسان لا يتفلسف لأنه يشقى و يتألم فحسب، بل هو يتفلسف لأنه يمل و يسام.

ان ما يمتاز به الانسان من حيث طبيعته الاجتماعية هو ميله الى الحياة في مجتمع انساني ونحو بناء علاقات اجتماعية متنوعة مع غيره بما زوده الله من عقل وعواطف، وعلى اكتساب خبرات جديدة وعلى تغيير سلوكه حسب مقتضيات البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يتفاعل معها ويعيش فيها. وفي الوقت الذي يشعر فيه الانسان بحاجته الى جماعة والى مجتمع، فانه يظل حريصا على الحفاظ على شخصيته المستقلة وكيانه المستقل، وقد اعترف الإسلام بهده النزعة الفطرية في الانسان فمنحه شخصية مستقلة لها دورها الفعال في بناء المجتمع.

كذلك يمتاز الانسان باستعداده لبناء الثقافة والحضارة وصنع التقدم وبقدرته على المساهمة مع غيره من بني البشر في ذلك البناء والصنع، فالثقافة التي من بين معانيها ذلك التراث المتراكم من المعارف والمفاهيم والأفكار والرموز في ذات الدلالة

والعادات والتقاليد والقوانين والقيم والمعتقدات وأساليب وأنماط الحياة المختلفة والمؤسسات الاجتماعية في مفهومها المعنوي، هي نتاج للتفاعل الفكري والاجتماعي للإنسان مع أخيه الانسان، ولتفاعل الانسان مع بيئته العامة الاجتماعية والثقافية والطبيعية، وكما يمتاز الانسان بخاصة العقل فانه يمتاز أيضا بخاصة الروح التي من مظاهرها النزعة الدينية والأخلاقية والإرادة، وفي المقابل فهو يمتاز بتقلب طبيعته وتردده بين حالات السمو الروحي التي تصل به أحيانا الى مصاف الملائكة.

لقد توفر للمسلمين منذ القدم الأسلوب المنطقي والعلمي في البحث، خاصة في مجال العلوم الطبيعية والكمياء والطب والصيدلة والعلوم الكونية، اذ يعتبر "الفرابي" من المتقدمين في تاريخ تقدم الفكر ومن أبرز علماء العرب الذين حاولوا تأسيس منهج لعلم الاجتماع على الرغم من تأثره بأفلاطون وأريسطو

الا أنه حاول أن يدمج كل ذلك بالفكر الإسلامي من خلال كتابه المشهور: "اراء أهل المدينة الفاضلة"، الذي أقر فيه عن بداية الحاجة الإنسانية الى علم الاجتماع والتعاون، بمعنى أن اجتماع الانسان بأخيه الانسان هو ضرورة فطرية واجتماعية، فالاجتماع يحقق التعاون من خلال تقسيم العمل الاجتماعي على اقوام تختص كل فئة بحرفة أو مهنة معينة وهو ما يحقق التكامل.

والواقع أن الفرابي الذي تأثر بجمهورية أفلاطون وأراء اريسطو السياسية قد جمع كل ذلك ومزجه بتعاليم الدين الإسلامي ليضع تصوره حول المدينة الفاضلة، الا أنه لم يؤسس لمنهج معين لان تفكيره مزيج بين الفلسفة والتصوف وهو أقرب الى التفكير الفلسفي

وفي نفس هذا السياق التاريخي الفكري يقول جورج سارتن أن ابن سينا من أعظم علماء الإسلام ومشاهير العلماء العالميين، وبالنظر الى ابن الهيثم فقد قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علما جيدا ابطل فيه علم المناظر وأنشأ فيه علم الضوء الحديث، وأن أثره في الضوء لا يقل عن نيوتن في الميكانيكا، ويعتبر البيروني من أهم رواد التفكير العقلاني الذين عرفهم التاريخ، والغزالي من أعجب الشخصيات التاريخية الإسلامية، ويقول "بيكون" بأن "ابن رشد" فيلسوف متين متعمق صحح الكثير من الأخطاء الفكرية للإنسان وأضاف الى ثمرات العقول ثروة قيمة في التاريخ الفكري الإسلامي

مما سبق يمكن الحديث عن تيارين في "المدرسة الإسلامية لعلم الاجتماع"، الأول يربط أسلمة العلوم الاجتماعية بالمواضيع المتعلقة بالإسلام تراثا وواقعا وفكرا، والثاني يربط ذلك بالعقائد الإسلامية

لقد ظهرت النظرية الإسلامية في السوسيولوجيا كرد فعل على الكتابات السوسيولوجية الوضعية والماركسية، وظهرت لأسلمة العلوم الاجتماعية كبديل للتناقضات التي وقع فيها هذا الفرع من العلوم الإنسانية، كما ظهرت دعوات جديدة لتأصيل علم الاجتماع في الوطن العربي يمكن تصنيفها الى ثلاث تجارب سوسيولوجية كبرى: علم الاجتماع العربي، تجربة علم الاجتماع القومي وتجربة علم الاجتماع الإسلامي

ومن أهم السوسيولوجيين الذين دافعوا عن علم الاجتماع القومي نجد الباحثان المصرين: "احمد الخشاب" في كتابه "التفكير الاجتماعي –دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية" و" عبد الباسط عبد المعطي" في كتابه" اتجاهات نظرية في علم الاجتماع "، ومن جهة أخرى يعد السوسيولوجي العراقي "معن خليل عمر" من المدافعين عن علم الاجتماع العربي خاصة في كتابه" نحو علم اجتماع عربي".

ترتكز النظرية الإسلامية في علم الاجتماع على رفض التطورات السيكولوجية الوضعية والماركسية ورفض دراسة واقع المجتمع العربي في ضوء النزاعات العربية القومية والفئوية والحزبية والأيديولوجية والاثنية، ومن ثم التركيز على المنظومة الأخلاقية الإسلامية، وفي هذا السياق يقول البروفيسور "روزنثال" عن "ابن خلدون" بانه يعتبر المفكر السياسي الوحيد في الإسلام لأنه أقان نظرياته على تجربته كرجل دولة وعلى مقابلاته مع الحكام المسلمين ووضع نظريات سياسية عن أنظمة الحكم المختلفة، فلقد برهنت النظرية السياسية لابن خلدون أنها دراسة أصلية للمسائل السياسية والظواهر الطبيعية الوثيقة الصلة بكل من الإسلام والفكر السياسي، كما تعتبر مقدمته بحثا في النقد التاريخي وفي علم الاجتماع.

لقد تمثل الفكر الخلدوني في دراسة الوقائع والظواهر الاجتماعية بغية تأصيل علم الاجتماع وتأسيسه، وقصد الانتقال من التبعية والتقليد الى الابداع والتجديد والابتكار وإعادة الثقة في الذات المسلمة ولتحقيق التمسك الاجتماعي بالهوية والاصالة والخصوصية وقراءة التراث الاجتماعي العربي القديم في ضوء رؤية إسلامية عميقة. لذلك يتخذ منهج البحث الإسلامي عند المسلمين من الدين الإسلامي قاعدة عامة يستند اليها ن فهو لا ينكر المبادئ العامة لعلم الاجتماع ولكنه يستفيد منها ويخضعها لمبادئ الإسلام. فالباحث في علم الاجتماع الإسلامي ينظر الى المشكلات الاجتماعية والظواهر والنظم ليس باعتبارها مجردة ولكن تقوم على التساؤل التالي: هل هي تدخل في صميم النظم الاجتماعية؟ ام هي دخيلة؟،فلا يعني ذلك التحيز او الابتعاد عن الموضوعية التي يتطلبها البحث الاجتماعي، بل على الباحث الإسلامي ان يكون موضوعيا وهو يبحث مشكلات البحث الإسلامي، فمثلا حين بحثه في الطلاق او تعدد الزوجات والربا عليه ان يلتزم الحياد التام، بحيث يجمع ويقارن ويستعمل نفس الأدوات المنهجية المعروفة في العلوم الإنسانية.

لقد كانت المنهجية العلمية واضحة عند العلماء المسلمين بفضل التحقيقات والاستقصاءات العلمية القائمة على أسلوب التفكير العلمي والدقة والاستنتاج، وقد سار علماء الإسلام في مختلف فروع المعرفة الإنسانية على هده الأسس العلمية التي تميز من خلالها التفكير الإسلامي بالموضوعية والأمانة العلمية والبحث عن الحقيقة. ويرى البيروني انه على الباحث الاستدلال بالمعقولات وقياس الآراء لمعرفة الأسباب المخفية لصاحبها عن الحق كالعادة المألوفة والتعصب والتظاهر واتباع الهوى والتغلب بالرياسة، فلا يأخذ الباحث الا ما يوافق العقل. لذلك اعتمد علماء الإسلام الشك والتجربة في البحث

العلمي، حيث أوضحت رسائل اخوان الصفا منهج البحث العلمي في صناعة الفكر، وهدا يدل على الاتجاه العلمي لدى مفكري الإسلام. وهكذا يكون الفضل للعرب في تأسيس المنهج العلمي ووضع قواعده.
ولقد لخص علماء الإسلام المعرفة في ثلاثة اشكال.
-المعرفة الشرعية التي تستند الى كتاب الله وسنة رسوله،و تتضمن العقائد و العادات و علوم القران الحديث .
-المعرفة العقلية التي نتحصل عليها من خلال العقل والمنطق وعلماء الفلسفة.
-المعرفة التجريبية والتي يتوصل اليها الانسان من خلال المشاهدة والتجربة.

وعموما احتوى الإسلام جملة من القواعد والضوابط اللازمة في طلب العلم، مما جعل منهجية البحث في الإسلام تتميز عن غيرها من المنهجيات الأخرى، خاصة فيما يتعلق في التلاؤم بين المنهج والموضوع والتناسب بين المجال المعرفي وإمكانية العقل الإنساني.

فالتلاؤم بين المنهج و الموضوع هو من ابرز مميزات المنهجية الإسلامية و نجاحها في تحقيق العلم في كل المجالات ،حيث ان لكل موضوع من المعرفة منهج يناسبه فالبحث فالطبيعة و اكتشاف القوانين الالاهية في الظواهر الطبيعية يلائمه المنهج التجريبي ، و البحث في اثبات الاخبار و الروايات يلائمه المنهج التاريخي ...و هكذا يصبح لكل نوع من المعرفة منهج يلائمه بحيث تتولد المعرفة الصحيحة من تطبيق المنهج المناسب لكل مجال من مجالات المعرفة. لذلك فان عدم مراعات التناسب بين المنهج والموضوع يؤدي الى فساد كبير في مجال العلم.

وبالنسبة للتناسب بين المجال المعرفي وإمكانية العقل الإنساني، فهو ما يميز المنهجية الإسلامية عن المنهجيات الأخرى، لان الإسلام لا يريد ان يبدد طاقة العقل دون فائدة ولا يريد ان يجز بالعقل في مجالات من البحث فوق قدراته بما يجعله يتخبط ولا يصل الى علم صحيح.

المصدر: مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى علوم اجتماعية ل.م.د
في مقياس مدارس ومناهج
من انجاز د/ فوزية زنقوفي السنة الجامعية 2019/2018
جامعة 08ماي 1945
قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع